

الرواية الشفهية في التاريخ

إن الرواية الشفهية في كتابة التاريخ تظل رواية وليست وثيقة يعتد بها ، كما تظل رواية يرويها صاحبها وتخضع لمنهج نقد النص ، أي تفكيك النص وإعادة لحالته الأولى ، وبالتالي لابد من دراسة الظروف التي كانت قائمة لتؤثر على هذه الرواية حتى يمكن فهم طبيعتها .

ولعل أبرز ملامح "الرواية الشفهية" أن صاحبها لا يتحدث دائماً عن نفسه ، وإنما يحاول النيل من الآخرين من دون أن يقيم ذاته ، فالرواية الشفهية التي يذكرها صاحبها دائماً هي جزء من مذكراته الشخصية عيبها الرئيسي أن صاحبها لا يتحدث عن نفسه لكنه يتحدث عن الآخرين ، ومن ثم يحاول النيل منهم من دون أن يقيم نفسه ولا يقول مثلاً إنه أخطأ أو تسرع أو اندفع أو جانبه الصواب أو لم يكن مدركاً لأبعاد أشياء كثيرة ، لذا فإن حديثه ينصب دائماً على الآخرين ويصورهم على أنهم لا يفهمون .

وللأسف معظم المذكرات في الأصل هي روايات شفوية ، لكن بعض المذكرات قد تكتسب الصدق خاصة إذا ما كان صاحبها كتبها بغير قصد النشر ، ونموذج ذلك مذكرات سعد زغلول (١٨٦٠ - ١٩٢٧) ومحمد فريد (١٨٦٨ - ١٩١٩) ، حيث كان سعد زغلول يدون مذكراته على شكل يوميات وفق حجم الحادث ، فكان يكتب كل شيء ويعترف على نفسه ، حتى إنه قال إنه كان ضد شقيقه الذي كان يوشى به عند الملك وأن داء القمار قد تمكن منه ، وأنه كان يشرب الخمر .

والرواية . أي رواية - لابد أن يتم التعامل معها على أساس منهج نقد النص وفق الظروف المحيطة بالرواية ، ومن هو كاتبها من حيث وضعه الاجتماعي وانتمائه السياسي لاستبيان مدى التأثير في كتابتها ، خاصة أن هناك روايات تنشر اعتماداً على قاعدة الولاء لدافع الأجر أو لإرضاء السلطة ، وبذلك يمكن القول إن صاحب الرواية إذا كان كذوباً لا يمكن الاعتداد به .

هناك قواعد لكتابة التاريخ أهمها جمع المعلومات من المصادر ومنها أرشيف الدولة "الوثائق" ، بالإضافة إلى التشريعات الصادرة في الفترة المراد كتابة تاريخها ، وكل ما يتعلق بنشاط الدولة في الموضوع المراد الكتابة فيه - بالإضافة إلى نوع آخر من المصادر مثل الأشخاص المعاصرين ، وكذلك المذكرات التي تكتب وتظهر خلال الأحداث ، قبل أن يتم تحليل كل هذه العناصر وتفسيرها ليس بهدف محاكمة الأشخاص ولكن لإجلاء الحقيقة .

عن حوار أجراه غريب الدماطي
مع أستاذ التاريخ الدكتور عاصم الدسوقي
منشور بجريدة العربي مارس ٢٠٠٩